**الفلسفة الإسلامية واثرها في تفسير القرآن الكريم**

أ.م. د رياض عبد الرحيم

جامعة البصرة كلية التربية / القرنة

م. م. ناهد الشماسي

السعودية/ جامعة الدمام / كلية العلوم

**الخلاصة**

كان ظهور الإسلام بكتابه الحكيم هو ظهور الحقيقة الجلية ، الظاهرة للعيان ، فقد جاء القرآن بما يتعلق بالألوهية بالمفهوم الكامل الواضح للإله ، وبين الايمان على نظر العقل باعتباره ثمرة المعرفة ، وامر بالنظر العقلي البصير.

و الفلسفة الإسلامية هو علم يقّدم تصور الإسلام و رؤيته حول الكون و الخلق و الحياة و الخالق ، و أهمية البحث تكمن في أهمية موضوعه وهو القرآن الكريم ، و أهمية تفسيره و تدّبر آياته ، و تعد الفلسفة الإسلامية من أهم المصادر العقلية التي تعين على فهم القرآن الكريم.

والفلسفة الإسلامية هو علم يقدم تصور الفكر الإسلامي ورؤيته حول الكون والخلق والحياة والخالق( او ما يعبر عنه (الرؤيا الكونية) او (الايدلوجية)

كما تكمن أهمية البحث باعتبار ان موضوعه هو القرآن الكريم، وتفسيره وتدبر آياته .

، وتعد الفلسفة الإسلامية من أهم المصادر العقلية التي تعين على فهم القرآن الكريم .

و الفلسفة الإسلامية انبثقت من صميم البيئة الإسلامية ، و أسهم المسلمون فيها ، و نما هذا العلم في بيئة المتكلمين و الفلاسفة و المتصوفة ، و امتازت الفلسفة بموضوعاتها و مسائلها حول الواحد و المتعدد ، و عالجت الصلة بين الله و مخلوقاته ، وكذلك و فقت بين الروح و العقل .

و التفسير الفلسفي للقرآن الكريم يعني استعمال المباني و القواعد الفلسفية في فهم النص القرآني.

لقد ساعد هذا النوع من التفسير على فهم الآيات المتشابهة . والوصول الى بواطن النص القرآني وتأويل آياته المباركة.

و من النماذج للتفسير الفلسفي للقرآن الكريم : تفسير الفارابي للأول و الآخر ، و الظاهر و الباطن ، و تفسير ابن سينا للعرش بأنه الفلك التاسع ، و الملائكة الثمانية الذين يحملون العرش هم الأفلاك الثمانية .

أما السيد الطباطبائي فقد رفض تفسير الكلام الإلهي بالموجودات الخارجية كما ذهب إليه بعض الفلاسفة ، و أخذه بالمعنى الحقيقي للكلام .

ولذلك على المفسّر أن يراعي الضوابط العامة للتفسير ، و من أهمها عدم تحميل النظريات الفلسفية على القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية : الفلسفة الإسلامية ، أثرها ، تفسير القرآن الكريم.

**مقدمة**

كان ظهور الإسلام بكتابه الحكيم هو ظهور الحقيقة العظمى، كما كان مدخل التحول في الدين المنزّل ، و التفكير الديني أو العلمي و الفلسفي معًا .

فقد جاء القرآن بما يتعلق بالألوهية بالمفهوم الكامل الواضح للإله ، و جاء يبيّن الإيمان على نظر العقل و ثمرة المعرفة ، كما جاء ليعظم أمر العلم و الحكمة ، فأمر بالنظر العقلي البصير ، في آيات الكون الظاهرة داعيًا للتأمل في أسرارها الخفية ، عن طريق الحس و الوجدان و العقل معًا، فالقرآن الكريم حين يتكلم عن الله سبحانه و تعالى في ذاته و صفاته و أفعاله و تدبيره لهذا العالم ، فإنه يبيّن لنا المنهج إلى معرفة ذلك ، هو النظر العقلي المتكامل الصحيح في هذا العالم بكل إبداعاته الكونية و الطبيعية 1.[[1]](#footnote-1)

والفلسفة الإسلامية مصطلح عام يمكن تعريفه و استخدامه بطرق مختلفة ، فيمكن للمصطلح أن يُستخدم على أنه الفلسفة المستمدة من نصوص الإسلام ، بحيث يقدّم تصور الإسلام و رؤيته حول الكون و الخلق و الحياة و الخالق ، و يمكن أن يُستخدم ليشمل جميع الأعمال و التصورات الفلسفية التي تمت و بُحثت في إطار الثقافة الإسلامية ، من دون أن يكون مرتبطًا بحقائق دينية و نصوص شرعية 2.

و في هذا البحث نتعرض لأثر التفسير الفلسفي للقرآن الكريم في مبحثين رئيسين هما:

* التعريف بالفلسفة الإسلامية .
* التعرض لأثر التفسير الفلسفي في تفسير القرآن الكريم .

**الأهداف:** 1ـ التعرف على الفلسفة الإسلامية .

2ـ التعرف على أثر الفلسفة الإسلامية في تفسير القرآن الكريم.

**أهمية البحث**: أهمية البحث يعود إلى أهمية موضوعه و هو القرآن الكريم ، و إلى أهم علم من علوم القرآن الكريم ، ألا وهو علم التفسير ، و التدبر بآياته ، و الاستفادة منه .

فكلما تقّدم بنا الزمان و تطورت العلوم كلما ازددنا فهم للقرآن الكريم ، و تعد الفلسفة الإسلامية من أهم المصادر العقلية التي تعين المفسر في تفسيره ، و التي ساهمت و لا زالت تساهم في فهم القرآن الكريم ، و الوصول إلى عمق و بطن من أعماق و بطون هذا القرآن العظيم.

**دراسات سابقة:**

تناول عدد من الكتّاب التفسير الفلسفي للقرآن الكريم على صورة نقد لهذا المنهج ، مثل :

1ـ التفسير و المفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي .

2ـ أصول التفسير و قواعده للشيخ خالد العك .

و لكن أيضًا نجد دراسات مكثفة حول هذا العلم ، منها:

1ـ سلسة التفسير الفلسفي للقرآن الكريم / لأبي يعرب المرزوقي في موقع مركز تفسير للدراس.

2ـ مفسري القرآن و أسلوبهم / ساجد شريف عطية ، موسوعة اتقان القرآن و علوم الرحمن .

3ـ المنهج الفلسفي في تفسير القرآن الكريم ( صدر الدين الشيرازي أنموذجًا) لزمن حسن صالح ، رسالة ماجستير.

أما هذا البحث فيتناول تعريف الفلسفة الإسلامية كمصدر علمي من مصادر التفسير، و نظرياته القطعية كمبادئ و أصول يعتمدها المفسّر في تفسيره.

من هنا نجد ان هناك أسئلة تطرح في الواقع الفلسفي للتفسير القرآني منها .

ما المراد من الفلسفة الإسلامية ؟ و ما أثرها في تفسير القرآن الكريم؟

**الفلسفة الإسلامية**

**1ـ تعريف كلمة (الفلسفة) لغة و اصطلاحًا:**

**أ ـ تعريف كلمة الفلسفة لغة** :

أصل كلمة (فلسفة) هو اسم يوناني ، و معناه الحكمة 1.[[2]](#footnote-2) ولذا يعبر عن الفيلسوف بانه محب الحكمة.

**ب ـ تعريف كلمة الفلسفة اصطلاحًا** :

**يقول صدر المتألهين** : الفلسفة هي استكمال النفس بمعرفة حقائق الموجودات على ما هي عليها و الحكم بوجودها تحقيقًا للبراهين لا أخذًا بالظن و التقليد بقدر الوسع الإنساني[[3]](#footnote-3).

**ويقول فتح الله** : الفلسفة هي العلم بالموجودات بما هي موجودات ، و هي من أول العلوم التي تعبر عن الموجودات معقولة ببراهين يقينية ليسهل بذلك تعليم جمهور الأمم و أهل المدن ، فالطرق الاقناعية و التخيلات إنما تستعمل في تعليم العامة و جمهور الأمم و المدن3[[4]](#footnote-4).

إذن فالفلسفة تبحث في الموجودات بماهي موجودة و ثابتة من حيث هي في نفس الأمر والواقع .

و تنقسم الفلسفة إلى فلسفة عامة و فلسفة إلهية ، فالعامة كالبحث عن العلة و المعلول ، و الإلهية مثل البحث عن وجود الله و صفاته4.

**2ـ الفرق بين الفلسفة و علم الكلام:**

تفترق الفلسفة عن علم الكلام ، أن الكلام وضعه المسلمون للدفاع عن الدين ، بينما الفلسفة ليس فيها طابع ديني ، و لا تسلك مسلكًا مُعينًا أو تتبع دينًا بخصوصه ، بل تبحث عن الحقائق كما هي عليه ، و هذا التجرد قد يحّمل الفيلسوف على تبني رأي مخالف للشريعة الإسلامية ، أو لظاهر الشريعة الإسلامية ، مما يوجب الخروج عن الدين في واقع الأمر أو في نظر المسلمين ، و الفيلسوف لا يبالي أن ينقض البرهان الذي أقامه دينًا أو مذهبًا 5.

فعلم الكلام علم مستقل لا علاقة له بالفلسفة ، فالفلسفة هي البحث عن الوجود و أقسامه ، و البحث عن الأشياء الموجودة بما هي ، أما علم الكلام فلا يشبه الفلسفة ، لأنه إنما نشأ لرد مادية الفلسفة المهاجمة ، خوفًا من أن يؤثر على العقيدة الإسلامية أو ما يرونه عقيدة إسلامية6 .

**3ـ موقف المسلمين من الفلسفة:**

لما كانت طبيعة الفلسفة النظر إلى حقائق الأشياء غير مقيدة برأي أو عقيدة ، و اصطدمت هذه الفلسفة ببعض مواقف الدين الإسلامي ، تصدى المسلمون للدفاع عن عقائدهم بأسلوب البراهين الفلسفية ، و حاولوا التنسيق بين الآراء الرائجة في الفلسفة و بين نظريات الإسلام ، فنشأ من ذلك علم الكلام ، فعِلم الكلام إنما نشأ للدفاع عن العقيدة الإسلامية عندما هاجمتها الفلسفة اليونانية ، و استخدموا الأساليب البرهانية التي تستخدمها الفلسفة لخدمة الدين 1. [[5]](#footnote-5)

**4ـ أصالة الفلسفة الإسلامية :**

يرى بعض الإسلاميين أن الفلسفة الإسلامية قد نبعت من صميم البيئة الإسلامية ، ذلك أنه نشأ من طول معاناة علوم القرآن و الحديث علم إسلامي أصيل هو (علم الأصول ) ، و الذي ظهرت في رحابه المذاهب الكلامية ، و جاءت الفلسفة اليونانية لكي تجد أرضًا خصبة و عقلية فلسفية اكتملت لديها جميع أسباب النظر الفلسفي ، من خلال النظر في مسائل الفقه و أقضيته و قياساته ، و لم يكن تيار الفلسفة اليونانية سوى رافد اندفع ليلتقي مع المجرى الكبير بدافعه من حتمية التأثير الثقافي المتبادل كنتيجة للتجاور المكاني و التماس حضاري في هذه المنطقة القديمة .

و أقبل المسلمون على التراث اليوناني مستعرضين قضاياه بأسلوب منهج المقارنة لا بأسلوب التعلم ، فرفضوا ما يتعارض منه مع الدين وموقفهم الفلسفي منه ، و قبلوا ما لا يناقض العقيدة من مذاهب و آراء2.

**5ـ نشأة الفلسفة الإسلامية:**

ليس ثمة شك أن هناك فكرًا فلسفيًا نشأ وترعرع في الأصول الإسلامية بصورة عامة، وهي ما يعبر عن باصول الدين ،كونها تنطلق من المباني الفكرية والعقلية التي ينشدها الفكر الفلسفي الإسلامي، لذا نرى ان للفكر الفلسفي الإسلامي مدارسه ورجاله ، و له مشاكله و نظرياته ، و له خصائصه و مميزاته ، و هو ما نسميه بـ ( الفلسفة الإسلامية) ، أنه نشأ و شبّ في كنف الإسلام ، و تأثر بتعاليمه، و أسهم فيه المسلمون في المشرق و المغرب ، و لا ضير أن يكون قد أسهم فيه غير المسلمين أيضًا ممن شملهم الإسلام برعايته .

و هناك ثلاث بيئات عُنيت بالفلسفة و الفكر الفلسفي ، هي :

**أـ البيئة الكلامية** : و هي من أغنى البيئات و أغزرها مادة ، و أشدها اتصالًا بالأحداث السياسية و الاجتماعية في العالم الإسلامي.

**ب ـ بيئة الفلاسفة** : وهم المشائين العرب ، و التي توسعت في التوفيق بين الفلسفة و الدين .

**جـ ـ بيئة المتصوفة** : حيث عاشت الفلسفة في كنف المتصوفة حين أعرضت الجماهير عنها ، كما عاشت الفلسفة في كنف علم الكلام 3.

و لقد مهد للفلسفة الإسلامية بيئتان متعاصرتان وضعتا دعائم الدراسات العقلية في الإسلام ، أولهما بيئة المترجمين الذين غذّوا العالم الإسلامي بثمار الفكر القديم شرقيًا كان أو غربيًا ، و ثانيهما بيئة الفرق الكلامية ، و بخاصة جماعة المعتزلة ، حيث بدأت الفرق الكلامية منذ أخريات القرن الأول للهجرة تثير بعض المشاكل الفلسفية كمشكلة الجبر و الاختيار ، و تفرعت منها في القرن الثاني مشاكل أخرى ، و خاصة على أيدي المعتزلة الذين فلسفوا العقيدة الإسلامية ، و عرضوا بسببها لمشكلة العالم و الإنسان ، ففرقوا بين الوجود و العدم ، و بين الجوهر و العرض ، و بين الذات و الصفة ، و بين الجسم و النفس ، و بين الخير و الشر ، و بحثوا في السبب و العلة ، و قالوا بالمعاني و الأحوال ، لكي يفسروا صفات الباري تفسيرًا عقليًا ، و توسعوا في شرح العدالة الإلهية ، و كذلك تعرضوا إلى مسائل الالوهية ، و أهمها البرهنة على وجود الله ، فعولوا على الدليل الكوني الذي يحاول أن يثبت وجود الله عن طريق وجود الكون ، و الدليل الغائي الذي يستخلص من نظام الكون و إبداعه ، أن له هدفًا و غاية لا تصدر إلا عن مدبر حكيم ، و يعتمد هذان الدليلان على مبدأ العلية سواء أكانت علة فاعلية أم علة غائية1.[[6]](#footnote-6)

**6ـ أهمية الفلسفة الإسلامية:**

امتازت الفلسفة الإسلامية بموضوعاتها و بحوثها و مسائلها و معضلاتها ، و بما قدمت لهذه و تلك من حلول ، فهي تعني بمشكلة الواحد و المتعدد ، و تعالج الصلة بين الله و مخلوقاته ، التي كانت مثار جدل بين المتكلمين ، و تحاول أن توفق بين الوحي و العقل ، و بين العقيدة و الحكمة ، و بين الدين و الفلسفة ، و أن تبّين للناس أن الوحي لا يناقض العقل ، و أن العقيدة إذا استنارت بضوء الحكمة تمكنت من النفس و ثبتت أمام الخصوم ، و أن الدين إذا تآخى مع الفلسفة أصبح فلسفيًا كما تصبح الفلسفة دينية ، و على أنها مع هذا الطابع الديني لم تهمل المشكلات الفلسفية الكبرى ، فعرضت لنظرية الوجود عرضًا واسعًا ، و أدلت برأيها في الزمان و المكان و المادة و الحياة ، و بحثت نظرية المعرفة بحثًا مستفيضًا ، ففرقت بين النفس و العقل ، و الفطري و المكتسب ، و الصواب و الخطأ ، و الظني و اليقين ، و غيرها2.

**7ـ موقف القرآن الكريم من الفلسفة:**

إن أسلوب القرآن الكريم أسلوب عاطفي ، لا يتسم في الغالب بطبع جدلي عقلي ، و القرآن نفسه لا يعد نصا فلسفياً صرف، وان تطرق لفلسفة الكون والتكوين، بل ودعا إلى النظر و التأمل في مظاهر الطبيعة المختلفة من حيث أنها تشير إلى عظمة الخالق و قدرته التي لا حد لها ، و سلك في هذا السبيل مسلكًا يثير العقل و يحفز انتباهه إلى الترقي في مدارج المعرفة الكونية ، كما في قوله تعالى: ( أولم ينظروا في ملكوت السماوات و الأرض) الأعراف: 185، و في قوله تعالى : ( فلينظر الإنسان مما خُلق)الطارق: 7. وقال تعالى( **قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍۢ قَدِيرٌ**)العنكبوت 20

كما أن إجابات القرآن على الأسئلة الموجهة للاستفسار عن حقائق الأشياء هي إجابات ليس لها طابع أو توجه فلسفي ، بل إنها تترك المشاكل بدون حلول مباشرة ، مثل قوله تعالى : ( و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) الإسراء:85 ، و قد تشير هذه الآيات إلى الناحية العملية ، كما في قوله تعالى : ( و يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس و الحج)البقرة: 189، وقد تحاشى القرآن أن يُمعن في طريق الجدل الفلسفي ، و السبب في ذلك أنه كتاب ديني موجه للناس عامة لا للمثقفين منهم وحدهم ، و لذلك كان يجتنب الخوض في حقائق الأشياء3.

**أثر الفلسفة الإسلامية في تفسير القرآن الكريم :**

**1ـ تعريف كلمة : (أثر) ، (التفسير)، ( التفسير الفلسفي):**

**أـ تعريف كلمة (أثر) لغة و اصطلاحًا:**

**لغة** : يقول الخليل الفراهيد : « الأثر بقية ما ترى من كل شيء و ما لا يرى بعد ما يبقى علقه»1.[[7]](#footnote-7)

ويقول ابن منظور: الأثر بقية الشيء2 .

**واصطلاحًا**: الأثر هو اللازم المتعلق بالشيء3.

وهذا التعريف يتحد مع المعنى اللغوي بشيء ، و يفارقه بآخر ، لأن اللازم خارج عن ماهية الشيء و ذاته فهو يوافقه فيما لم يكن جزء ، و يخالفه فيما كان جزء4.

**ب ـ تعريف كلمة ( التفسير) لغة و اصطلاحًا:**

**لغة** : التفسير من مادة فسر ، و تعني البيان 5، وكشف المراد عن اللفظ المشكل 6.

**اصطلاحًا:** وردت عدة تعاريف لكلمة التفسير من العلماء ، و أهمها بالنسبة لهذا البحث :

**هو أن التفسير** : عبارة عن بيان المفاد الاستعمالي لآيات القرآن ، و إظهار المراد الجدي لله تعالى منها ، طبق قواعد اللغة العربية ، و أصول المحاور العقلائية7.

فهذا التعريف يبّين العملية التفسيرية ، و الأدوات التي يستعين بها المفسر في تفسيره للنص القرآني.

**جـ ـ التفسير الفلسفي للقرآن الكريم :**

يعرف المنهج الفلسفي في التفسير : بأنه استعمال المباني و القواعد الفلسفية في فهم النص القرآني 8.

وتقع طريقة التفسير الفلسفي لبيان ما تقوم عليه الظاهرة القرآنية من مفاهيم فلسفية كالبحث عن الوجود و الماهية و ما يترتب عليهما من الأثر في جانب الوجود من الأصالة أو التبعية للماهية ، و كذا ما يترتب على الماهية من الأصالة أو تبعيتها للوجود.

و أهم الآيات القرآنية المطروحة في هذا المسلك فهي عبارة عن : إثبات وجود الله ، و صفاته ، و التوحيد و مراتبه ، و مسألة النفس و العقل ، و مبدأ العلية ، و ما شاكل ذلك9.

**2ـ الآيات المتشابهة و التفسير الفلسفي:**

الآيات المتشابهة هي آيات قرآنية مشكلة ، مبهمة المعنى ، يعارض بعضها الآخر، و هي التي أدت إلى ظهور أسلوب التأويل و الذي استخدمته الفرق الإسلامية للتدليل على صحة مواقفها.

فنجد في القرآن الكريم آيات تشعرنا بالتجسيم أو التشبيه ، و أخرى تشدنا إلى التنزيه ، فمن الآيات ما يشير إلى أن لله عرشًا ، و أن لله تعالى وجهًا ، و منها ما ينزه الله عن صفات المخلوق ، كما في قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء﴾الشورى:42.

و قد اختلف المسلمون في تفسير هذه الآيات ، و لم يتضح لهم هدف الشارع منها ، و يقول تعالى في محكم كتابه : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هُن أم الكتاب و أخرى متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله و الراسخون في العلم ﴾آل عمران:7.

و أيضًا فقد أُثيرت مسألة الجبر و الاختيار استنادًا إلى آيات متشابهات ، مثل الآية ﴿و ما رميت إذ رميت و لكن الله رمى﴾الانفال:17 ، بينما الآية ﴿ وهديناه النجدين﴾البلد:10 ، هي صريحة في الاختيار أي في القول بحرية الإرادة1. [[8]](#footnote-8)

يقول الدكتور محمد أبو ريان: « أن بعض ما ورد من آيات في القرآن أشكل على الناس فهمها ، و سميت هذه الآيات متشابهات ،وهي غير واضحة المعنى ، و بعضها يشعر بالتناقض»2.

فكان التفسير الفلسفي عامل مساعد على فهم هذه الآيات المتشابهة ، و خاصة عند البحث في الآيات التي تتناول ذات الله و صفاته كالنورية و السمع و البصر، ورؤيته سواء بالقلب أو بالبصيرة ، وغيرها.

**3ـ مواقف و آراء حول التفسير الفلسفي للقرآن الكريم:**

يرى الذهبي أن علماء المسلمين لم يكونوا جميعًا على مبدأ واحد بالنسبة للآراء الفلسفية ، بل وجد منهم من وقف منها موقف الرفض ، و عدم القبول ، كما وجد منهم من وقف موقف الدفاع عنها و القبول لها ، و كان من هؤلاء و من هؤلاء أثر ظاهر في تفسير القرآن الكريم.

فبعض المفسرين استفاد من النظريات الصحيحة و المسّلمة لديه ، و مزجها بالتفسير، ورفض النظريات التي يراها تتعارض مع الدين .و لكن هناك بعض المفسرين من شرح الآيات القرآنية بناءً على النظريات و الآراء الفلسفية ، فأسقط تلك النظريات و الآراء على النصوص القرآنية3.

يقول خالد العك في ذمه للمعتزلة لأنهم اعتمدوا على النظريات الفلسفية في تفسيرهم للقرآن الكريم : « أما المعتزلة : فقد توسعوا في تفسير القرآن تفسيرًا عقليًا ، تبع لمنهج الفلاسفة القائم على تفسير الغيبيات تفسيرًا عقليًا ، حتى تناولوا صفات الله تعالى ، و الأخص( العدل) ، فأرجعوا على الله سبحانه في مسألة العدل ما يجب على الإنسان فيه ، و كذلك و صفوا الكلام لله تعالى لموسى (ع) في قوله تعالى : ﴿ و كلّم الله موسى تكليمًا﴾النساء: 164، بمعنى جرح الله موسى بأظفار المحن و مخالب الفتن ، كل ذلك ليفر من ظاهر القرآن الذي يصطدم مع عقيدته و مذهبه »1.

و لذلك نجد للعلماء في مسألة مشروعية الفلسفة في التفسير ثلاث آراء:

**الرأي الأول**: وجوب الاقتصار على التفسير بالمأثور عن الرسول (ص) و أهل بيته (ع) .

**والجواب**: إن الكثير من روايات التفسير ضعيفة لا يمكن الاعتماد عليها ، فضلًا عن الآيات التي لم ترد فيها تفسير منهم صلوات الله عليهم ، و هذا يؤدي إلى تعطيل العمل بآيات كثيرة.

**الرأي الثاني**: هناك من لم يعارض هذا المنهج ، بل عارض خصوص استعمال المصطلحات الفلسفية .

**و الجواب**: الفلسفة علم عقلي ومصطلحاته كمصطلحات أي علم عقلي أو علم تجريبي ، فلا ضير من الاستفادة منها بالتفسير.

**الرأي الثالث**: جواز استعمال المنهج الفلسفي لأنه من المنهج العقلي ، فكما يمكن استعمال القواعد العقلية في فهم النصوص القرآنية ، فالقواعد الفلسفية هي أحدى مصاديقها .

**و الجواب:** أن التفسير الفلسفي لا إشكال فيه إذا ما روعي فيه شرط يعد هو الأساس في هذا المنهج، هو استخدام المبنى الفلسفي المبرهن عليه في فهم النص القرآني ، و الابتعاد عن تحميل الآراء الفلسفية على القرآن 2.[[9]](#footnote-9)

4**ـ نماذج للتفسير الفلسفي لبعض الآيات القرآنية:**

تناول بعض الفلاسفة الكبار بعض الآيات القرآنية و فسروها بطريقة فلسفية ، نعرض بعضها :

**أـ الفارابي (ت: 339هـ):**

يمكن اعتبار تفسير الفارابي ، من النماذج البارزة لهذا النوع من التفسير ، فقد فسّر الفارابي بعض آيات القرآن الكريم تفسيرًا فلسفيًا ، منها ما يلي :

**أ ـ في قوله تعالى: ﴿ هو الأول و الآخر﴾الحديد:3** : فسّر( الأول ) فيقول : « الأول من جهة أنه منه و يصدر عنه كل وجود غيره ، وهو أول من جهة أنه بالوجود لغاية قربه منه ، وأول من جهة أن كل زماني يُنسب إليه يكون فقد وجد زمان لم يوجد معه ذلك الشيء ، ووجد إذ وجد معه لا فيه» .

وفسّر ( الآخر) بقوله: ( هو الآخر ، لأن الأشياء إذا لوحظت و نسبت إليه أسبابها و مبادئها وقف عنده المنسوب ، فهو آخر لأنه الغاية الحقيقية في كل طلب)3.

**ب ـ وفي قوله تعالى ﴿ هو الظاهر و الباطن﴾الحديد:3**: فسّر (الظاهر) بقوله : « لا وجود أكمل من وجوده ، فلا خفاء به من نقطة الوجود فهو في ذاته ظاهر و لشدة ظهوره باطن ،و به يظهر كل ظاهر كالشمس يظهر كل خفي و يستبطن لا عن خفاء».

و فسّر(الباطن) بقوله : « وهو باطن لأنه شديد الظهور ، غلب ظهوره على الإدراك الخفي ، وهو ظاهر من حيث الآثار تنسب إلى صفاته ، وتجب عن ذاته»1.[[10]](#footnote-10)

**ب ـ ابن سينا (ت: 428هـ):**

ابن سينا كمسلم يدين بالقرآن ، و فيلسوف محب للفلسفة ، كان حريص كل الحرص على أن يوفق بين الدين و الفلسفة ، و كان طبيعيًا أن يوفق بين نصوص القرآن و النظريات الفلسفية ، فكان يشرح القرآن شرحًا فلسفيًا ، و كانت طريقته التي يسلكها في شرحه غالبًا هي شرح الحقائق الدينية بالآراء الفلسفية 2.

ومن الآيات القرآنية و التي فسّرها تفسيرًا فلسفيًا :

**أ ـ في قوله تعالى : ﴿ و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾الحاقة:17 :** فسّر العرش بأنه الفلك التاسع الذي هو فلك الأفلاك ، و فسّر الملائكة الثمانية التي تحمل العرش بأنها الأفلاك الثمانية التي تحت الفلك التاسع .

يقول ابن سينا:

«أن العرش نهاية الموجودات المبدعة الجسمانية ، و تدعي المشبهة من المتشرعين أن الله تعالى على العرش لا على سبيل الحلول ، أما في الكلام الفلسفي فإنهم جعلوا نهاية الموجودات الجسمانية الفلك التاسع الذي هو فلك الأفلاك ، و يذكرون أن الله تعالى هناك ، و عليه لا على حلول ، كما بيّن أرسطو في آخر كتاب سماع الكيان ، و الحكماء و المتشرعون اجتمعوا على أن معنى العرش هو هذا الجرم ، و قد قالوا : إن الفلك يتحرك بالنفس ، لأن الحركات إما ذاتية ، و إما غير ذاتية ، و الذاتية إما طبيعية ، و إما نفسية ، ثم بينّوا أن نفسها هو الناطق الكامل الفعال ، ثم بينّوا أن الأفلاك لا تُفنى و لا تتغير أبد الدهر ، و قد ذاع في الشرعيات أن الملائكة أحياء قطعًا ، لا يموتون كالإنسان الذي يموت ، فإذا قيل : إن الأفلاك أحياء ناطقة لا تموت ، و الحي الناطق غير الميت يسمى ملكًا ، فالأفلاك تسمى ملائكة ، فإذا تقدم هذه المقدمات وضح أن العرش محمول على ثمانية ، ووضح تفسير المفسرين أنها ثمانية أفلاك»3.

**جـ ـ صدر المتألهين (ت: 1050هـ):**

أستعمل صدر المتألهين الفلسفة في فهم النصوص القرآنية ، و اعتمد في فلسفته على النقل و البرهان و الكشف ، و لكنه اعتمد على المنهج المتكامل في تفسيره ، فيستخدم تفسير القرآن بالقرآن ، و بالمأثور ، و اللغة ، و المنهج الفلسفي ، أي ما يسمى بالتفسير الاجتهادي الجامع4.

و من الآيات القرآنية التي تناولها صدر المتألهين في تفسيره :

**أ ـ في قوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم و تركهم في ظلمات لا يبصرون ، صم بكم عمي فهم لا يرجعون﴾البقرة : 17 ، 18.**

يرى صدر المتألهين : تحقيق هذه الآية تستدعي مقدمات ، إحداها : هي أن العوالم متطابقة و النشئات متحاذية ، نسبة الأعلى إلى الأدنى كنسبة الصافي إلى الكدر ، و نسبة اللب إلى القشرة ، و نسبة الأدنى إلى الأعلى كنسبة الفرع إلى الأصل ....، فكل ما في الدنيا فلابد له في الآخرة من أصل ، و إلا لكان كسراب باطل و خيال عاطل ، و كل ما في الآخرة فلا بد له في الدنيا من مثال ، و إلا لكان كمقدمة بلا نتيجة و شجرة بلا ثمرة و علة بلا معلول ، لأن الدنيا عالم الملك و الشهادة ، و الآخرة من عالم الغيب و الملكوت ، و لكل إنسان دنيًا و آخرة . و إن الإنسان أول ما يحدث يكون في عالم الحس و الشهادة ، ثم يتدرج قليلًا في قوة الوجود ، حتى ينتقل من هذا العالم إلى عالم الغيب ، فيكون الدنيا أولاه و الآخرة أخراه ، كما إن الصورة في المرآة تابعة لصورة الناظر في رتبة الوجود و ثانية لها ، و هي أن كانت ثانية في رتبة الوجود ، فإنها أول في حق رؤيتك ، وهذا النوع من الانعكاس ، ضرورة هذا العالم ، وكذلك عالم الشهادة محال لعالم الغيب و الملكوت1.[[11]](#footnote-11)

**ب ـ و في قوله تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم﴾البقرة:29.**

يقول صدر المتألهين في تفسير هذه الآية:

«هذه الآية من أعظم الدلائل على شرف الإنسان ، و من أقوى الوسائل إلى معرفة الرحمن ، أما دلالتها على شرفه بوجهين:

أحداهما : وهو إنها بيان نعمة أخرى بعد النعمة الأولى مرتبة عليها ، فإن الأولى كانت خلقتهم أحياء قادرين مرة بعد أخرى ، و هذه خلْق ما يتوقف عليه بقاؤهم النوعي بعد الشخصي و يتم به معاشهم المبتني عليه معادهم.

و ما أحسن رعاية هذا الترتيب منه تعالى ، فإن الانتفاع بالأرض و السماء و ما في كل منهما إنما يكون بعد حصول الحياة ، فلهذا ذكر الله أمر الحياة أولًا ، ثم أردفه بذكر الأرض و السماء»2.

و في قوله تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات﴾:

يقول صدر المتألهين: «هي من الآيات التي اختص بمعرفتها أهل القرآن خاصة ، (فالاستواء ): أصله طلب السواء ، و إطلاقه على الاعتدال و الاستقامة ، و قيل استوى بمعنى استولى و ملك ، (فسواهن (: عدّلهن و خلقهن مصونة من العوج و الفطور، إلا عند قيام الساعة ( إذا السماء انفطرت)، و (ثم ): كما تفيد التراخي ، فهي هنا تفيد للتفاوت في الشرف و الفضيلة في خلق السماوات على خلق الأرض»3.

**د ـ الطباطبائي(ت: 1402هـ):**

حفل (الميزان) بأبحاث فلسفية عديد في مواضع مختلفة ، و يرجع ذلك إلى قدرة المفسر العلمية ، و عمق نظرته الفلسفية ، و فلسفة الطباطبائي في (الميزان ) تبدو ممزوجة بآيات القرآن الكريم ، و لكن لم تستهو الفلسفة الطباطبائي كمنهج للتفسير ، و لم تسيطر النظريات الفلسفية على تفسيره ، كما هو نفسه عاب على المسلك الفلسفي في التفسير ، إذ قال : « و أما الفلاسفة ، فقد عرض لهم ما عرض للمتكلمين من المفسرين من الوقوع في ورطة التطبيق و تأويل الآيات المخالفة بظاهرها للمسلمات في فنون الفلسفة بالمعنى الأعم ، و خاصة المشائين ، و قد تأولوا الآيات الواردة في حقائق ما وراء الطبيعة ، و آيات الخلقة ، و حدوث السماوات و الأرض ، و آيات البرزخ و آيات المعاد ، حتى ارتكبوا التأويل في الآيات التي لا تلائم الفرضيات و الأصول الموضوعة التي نجدها في العلم الطبيعي».

كما أن الأبحاث الفلسفية التي عقدها الطباطبائي في الميزان تعبر عن تأييدها للمعاني التي أستفادها من الآيات ، و في أحيانٍ أخرى عبرت هذه الأبحاث عن رفضها لمقالات فلسفية تعارض ظواهر القرآن و السنة 1.[[12]](#footnote-12)

**مثلًا في تفسيره لمعنى ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ الفاتحة:2:** قال : «إنه الثناء على الجميل الاختياري ، ثم أعقبه ببحث فلسفي بقوله : ( البراهين العقلية ناهضة على أن استقلال المعلول و كل شأن من شؤونه إنما هو بالعلة ، و أن كل ماله من كمال فهو فيض من فيوض وجود علته ، فلو كان للحسن و الجمال حقيقة في الوجود فكماله و استقلاله للواجب تعالى لأنه العلة التي تنتهي إليه جميع العلل ، و الثناء و الحمد هو إظهار موجود ما بوجود كمال موجود آخر و هو لا محالة علته»2.

**و في تفسيره لقوله تعالى ﴿ يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها﴾الزلزلة:4** : يقول الطباطبائ:

«حقق في مباحث الفلسفة وهو حضور شيء لشيء يساوي الوجود المجرد لكون ما له من فعلية الكمال حاضرًا عنده تعالى من غير مقابلة للفعل ، فكل وجود مجرد يمكنه أن يوجد حاضرًا و ما أمكن لمجرد بالإمكان العام فهو له بالضرورة ، فالعلم يساوي الوجود و الوجودات المادية لا يتعلق بها علم و ليس لها علم بشيء ، لكن لها ـ على الرغم كونها مادية متغيرة متحركة لا تستقر على حال ـ ثبوتًا من غير تغير و لا تحول لا ينقلب عما وقع عليه ، فلها من جهة التجرد تشابه محض مع الموجودات المحضة العقلية المثالية في سريان العلم»3.

بينما رفض الطباطبائي في بعض أبحاثه الفلسفية بعض النظريات التي تخالف بمؤداها القرآن الكريم ، كما في معنى ( الكلام ) ، حينما ذهب الفلاسفة بأن المعلول يحكي عن علته فهو كلام لها ، و لما كان العالم الممكن معلولًا لله تعالى فهو كلامه الذي يظهر المكنون من كمال أسمائه و صفاته أي أن الله تعالى متكلم بالعالم.

لكن الطباطبائ استبعد هذا المعنى ، باعتبار أن ما ورد في القرآن الكريم لا يدل على ذلك ، و لا يمكن حمله إلا على أنه كلام حقيقي لله غير متمثل بالعالم و لا الوجودات الخارجية 4.

**النتيجة** :

تعتبر الفلسفة الإسلامية مصدر من أهم مصادر التفسير ، لأنها غنية بالنظريات العقلية و القطعية ، ويستفيد منها المفسر في تفسيره للقرآن الكريم ، و خاصة في المسائل التي تتعلق بمعرفة الذات الإلهية ، و صفاته سبحانه ، و عند تفسير بعض الآيات المتشابهة .

و على المفسر الذي يعتمد على التفسير الفلسفي كمصدر أن يراعي الضوابط التالية :

أولًا: أن لا يتنافى التفسير الفلسفي مع الآيات القرآنية ، وحكم العقل.

ثانيًا: الابتعاد عن الفرضيات \_ أي النظريات غير القطعية ـ لأنها معرضة للتغير و الإشكالات.

ثالثًا: الابتعاد عن تحميل النظريات الفلسفية على القرآن الكريم1.[[13]](#footnote-13)

**المصادر:**

1ـ القرآن الكريم.

2ـ ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، تحقيق عبد الله الكبير ، دار المعارف ، القاهرة .

3ـ ابن سينا ، الحسين بن عبد الله ، مجموع رسائل الشيخ الرئيس ، جمعية دائرة المعارف العثمانية ، الطبعة الأولى ، 1354هـ ش.

4ـ أبو ريان ، محمد علي ، تاريخ الفكر الإسلامي ، نشر دار المعرفة الجامعية ، 1980م.

5ـ الألوسي ، علي ، الطباطبائي و منهجه في تفسيره الميزان، معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي ، طهران ، الطبعة الأولى ، 1405هـ.

6ـ الجابري ، محمد عابد ، تكوين العقل العربي ، موقع معرفة.

7ـ الجرجاني ، علي بن محمد ، التعريفات ، مطبعة دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت.

8ـ الذهبي ، محمد حسين ، التفسير و المفسرون ، نشر مكتبة وهبة ، القاهرة.

9ـ الشيرازي (صدر المتألهين) ، محمد بن إبراهيم ، تفسير القرآن الكريم ، تصحيح ، محمد خواجوي ، نشر بيدار، قم المقدسة، طبعة 1364هـ ش.

10 ـ الشيرازي ( صدر المتألهين ) محمد بن إبراهيم ، الحكمة المتعالية، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان.

11ـ الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن، تصحيح الشيخ حسين الأعلمي ، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيوت ، الطبعة الأولى ، 1417هـ .

12ـ العك ، خالد عبد الرحمن ، أصول التفسير و قواعده ، دار النفائس، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1406هـ.

13ـ الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، العين ، تحقيق: مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة ، الطبعة الثانية ، 1410هـ .

14ـ الفيروز آبادي ، القاموس.

15ـ المظفر ، محمد رضا ، الفلسفة الإسلامية ، اعداد السيد محمد تقي الطباطبائي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت.

16ـ خلف ، فتح الله ، المدخل إلى الفلسفة ، نشر دار الجامعات المصرية ، 1982م.

17ـ رضائي ، محمد ، مباني و قواعد تفسير القرآن.

18ـ عطية ، ساجد شريف ، مفسري القرآن و أسلوبهم ، موسوعة اتقان القرآن و علوم الرحمن.

19ـ صالح ، زمن حسين ، المنهج الفلسفي في تفسير القرآن الكريم ( صدر الدين الشيرازي أنموذجًا) ، رسالة ماجستير ، جامعة كربلاء ، 1438هـ.

20ـ مدكور ، إبراهيم ، في الفلسفة الإسلامية ( منهج و تطبيقه) ، نشر دار المعارف ، مصر.

21ـ موقع هد القرآن ، أصول و شواهد النظر العقلي في القرآن و الفكر الإسلامي.

1. (1 ) موقع هدى القرآن، أصول و شواهد النظر العقلي في القرآن الكريم و الفكر الإسلامي.

   ( 2) الجابري ، محمد عابد ، تكوين العقل العربي ، موقع معرفة. [↑](#footnote-ref-1)
2. (1 )الفيروز آبادي ، القاموس ، ج3: 155 .

   ( 2) الشيرازي ، محمد إبراهيم ، الحكمة المتعالية ، ج1: 47.

   (3 ) خلف ، فتح الله ، المدخل إلى الفلسفة: 7.

   ( 4) المظفر ، محمد رضا ، الفلسفة الإسلامية: 75.

   (5 ) المظفر، محمد رضا ، الفلسفة الإسلامية: 75.

   ( 6) المظفر ، محمد رضا ، الفلسفة الإسلامية: 76. [↑](#footnote-ref-2)
3. [↑](#footnote-ref-3)
4. [↑](#footnote-ref-4)
5. (1 ) المظفر ، محمد رضا ، الفلسفة الإسلامية: 76.

   ( 2) أبو ريان ، محمد علي ، تاريخ الفكر الإسلامي:16.

   (3 ) مدكور، إبراهيم ، الفلسفة الإسلامية(منهج و تطبيقه) :7. [↑](#footnote-ref-5)
6. (1 ) مدكور، إبراهيم ، في الفلسفة الإسلامية ( منهج و تطبيقه)ج2: 7 ،77.

   ( 2) مدكور ، إبراهيم ، في الفلسفة الإسلامية( منهج و تطبيقه) ، ج1: 23.

   (3 ) أبو ريان ، محمد علي ، تاريخ الفكر الإسلامي: 47، 48. [↑](#footnote-ref-6)
7. ( 1) الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، العين ، ج8: 236.

   (2 ) ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب:25 ، مادة أثر.

   ( 3) انظر :الجرجاني ، علي بن محمد ، التعريفات :9.

   (4 ) صالح ، زمن حسين ، المنهج الفلسفي في تفسير القرآن الكريم ( صدر الدين الشيرازي أنموذجًا): 21.

   ( 5) الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، العين ،ج7: 247.

   (6 ) ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب: 3412.

   (7 ) رضائي ، محمد ، مباني و قواعد تفسير القرآن.

   ( 8) صالح ، زمن ، المنهج الفلسفي في تفسير القرآن الكريم: 45.

   (9 ) عطية ، ساجد شريف ، مفسري القرآن و أسلوبهم ، ج2 ، موسوعة اتقان القرآن و علوم الرحمن . [↑](#footnote-ref-7)
8. (1 ) انظر : أبو ريان ، محمد علي ، تاريخ الفكر الإسلامي:223 ، 224.

   (2) أبو ريان ، محمد علي ، تاريخ الفكر الإسلامي: 50

   ( 3) انظر: الذهبي ، محمد حسين ، التفسير و المفسرون ، ج2 : 309.

   (3 ) العك ، خالد ، أصول التفسير و قواعده :245. [↑](#footnote-ref-8)
9. (1 ) العك ، خالد ، أصول التفسير و قواعده :245.

   ( 2) انظر، صالح ، زمن ، المنهج الفلسفي في تفسير القرآن الكريم: 42.

   ( 3) الذهبي ، محمد حسين ،التفسير و المفسرون ، ج2: 310. [↑](#footnote-ref-9)
10. ( 1) الذهبي ،محمد حسين ، التفسير و المفسرون ، ج2: 310.

    ( 2) انظر: الذهبي ، محمد حسين ، التفسير و المفسرون ، ج2: 314.

    (3 ) الذهبي ، التفسير و المفسرون ، ج2: 315.

    (4 ) انظر: صالح ، زمن ، المنهج الفلسفي في تفسير القرآن الكريم( صدر الدين الشيرازي أنوذجًا). [↑](#footnote-ref-10)
11. (1 ) انظر: الشيرازي(صدر المتألهين ) ، محمد بن إبراهيم ، تفسير القرآن الكريم ، ج2: 4، 5.

    ( 2) الشيرازي ، محمد إبراهيم ، تفسير القرآن الكريم ، ج2: 274.

    (3 ) الشيرازي ، محمد إبراهيم ، تفسير القرآن الكريم ، ج2: 278. [↑](#footnote-ref-11)
12. (1 ) انظر :الألوسي ، علي ، الطباطبائ ومنهجه في تفسيره الميزان :183 ، 184.

    (2 ) الطباطبائ ، محمد حسين ، الميزان ، ج1: 22.

    ( 3) الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان ، ج17 : 381 ، 382.

    (4 ) انظر: الألوسي ، علي ، الطباطبائي و منهجه في تفسيره الميزان: 185 ، 186. [↑](#footnote-ref-12)
13. ( 1) انظر : رضائي ، محمد ، مباني و قواعد تفسير القرآن ( الضوابط العامة في مناهج التفسير). [↑](#footnote-ref-13)